توسعة المسعى

دراسة فقهية تاريخية بيئية جيولوجية

أ. د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان

بعد أن بادرت مجلة «ميقات الحج» لنشر أوائل الدراسات الفقهية حول مشـــروع توسعة المسعى، أســـهم فيها بعض الفقهاء وأساتذة الحوزة العلمية المحترمين، على رأســـهم سماحة آية الله العلامة الشيخ جعفر الســـبحاني، فشـــارك المجلة هذه المرّة في هذا البحث بمساهمة مشكورة من سماحة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، الذي اعتنى بالدراســـات التي نشرت في المجلة، واستفاد من إفادات العلامة السبحاني، فإلى القارئ الكريم نقدم هذه الدراسة الشيّقة.

التحرير

الصفا والمروة في اللغة والتفسير

جاء شرح كلمة (الصفا) في كتب اللغة لدى العلامة مرتضى الزبيدي:

«الصفا: من مشاعر مكة المكرمة شرفها الله تعالى جبل صغير بلخف جبل أبي قبيس ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾، وابتنيت على متنه داراً فيحاء، أي واسعة، وبها ختم المصنف كتابه هذا»(١).

«المروة (بهاء): جبل بمكة المكرمة يذكر مع الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾، قال الأصمعي: سمي لكون حجارته براقة».(٢)

ذكر الإمام القرطبي فيما يخص الصفا والمروة قوله:

«أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس، وهو هنا جبل بمكة المكرمة معروف، وكذلك المروة جبل أيضاً»(٣).

ذكر العلامة الفقيه المؤرخ القاضي تقي الدين الفاسي أن:

«الصفا الذي هو مبدأ السعي وهو في أصل جبل أبي قبيس على ما ذكره غير واحد من العلماء، ومنهم أبو عبيد البكري، والنووي، وهو موضع مرتفع من جبل له درج، وفيه ثلاثة عقود، والدرج من أعلى العقود، وأسفلها، والدرج الذي يصعد من الأولى إلى الثانية منهن بثلاث درجات وسطها، وتحت العقود درجة، وتحتها فرشة كبيرة، ويليها ثلاث درجات، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة

تتصل بـالأرض، وربما أهيل التراب عليها فغيب...».(٤)

يذكـر العلامة الفقيـه فضيلة الشيخ عبدالفتاح بن حسين راوه المكي وهو من علماء مكة المكرمة المعاصرين (١٤٢٤هـ)، وعلى معرفة كبيرة بأحيائها وجبالها، في التعريف بهذين الجبلين: جبل الصفا، وجبل المروة قائلاً:

«الصفا: طرف سـفح جبل أبي قبيس...

جبـل لعلع: هو الجبـل الذي بسفحه المروة، وعلى سطحه محلة القرارة وشـارع الفلق، وأول محلة النقاء، وجبل لعلـع: هو جزء من سفح جبل قعيقعان كأنف له كجبل الصفا لجبل أبي قبيس...».(٥)

هذه التعريفات (للصفا والمروة) تفيـد أنهما جبـلان ، أما جبل الصفا فممتـد إلى جبل أبي قيس ويقع جبل الصفا في سفحه، وجبل المروة ممتد إلى جبل (لعلع)، ويقع في سفحه، وكل جبل له قاعدة من العـرض تمتد على جميـع جهاته ، وما ظهر على وجه الأرض أصغر مما اختفـى منه تحت الأرض ، وقد علتهما المسـاكن في أجزاء كبيرة منهما من قديم الزمن ، يشهد لهذا ما ذكره العلامة مرتضى الزبيدي أنه بنـى على جبل الصفـا داراً فيحاء.

يدرك هذه الحقيقة كل من شاهد هذين المشعرين قبل أن تمتد إليهما يد التغيير قبل التوسعة السعودية للحـرم المكي قبل عـام ١٣٧٥هـ وتخطيط الشوارع من جهتهما.

استوجبت التوسـعة السعودية للحرم الشريف ، وإعادة تخطيط ما حوله من شوارع إلى تكسير الكثير من أجزاء الجبلين : الصفا والمروة تمهيداً لتسوية سطحهما بالأرض، واتساع الشوارع من حولهما، وقد

أبرز هـذه الحقائق العلامة المؤرخ فضيلة الشـيخ محمد طاهر كردي الخطاط في العبارة التالية:

«ومما يشبه ما ذكره الإمام القطبي في تاريخـه عن مـا أخذ من أرض المسـعى وأدخل في المسجد الحرام مـا أحدث في زماننا في التوسـعة السـعودية للمسـجد الحـرام ، وتكسير شيء من جبل الصفا إلى جبل المروة زيادة في عرض المسعى، وليكون منظره جميلاً في رأي العين وذلك في سنة ١٣٧٧هجرية ...»[٦]

أيد هـذه الحقائق الـتي كانت مشـاهدة للعيان، وعاصرها شيوخ الحاضر ، وأدلى بها الشهود الثقات من أعيان مكة وكبارها ، من الذين كانـوا يقطنون تلـك المنطقتين ، والمعاصرين الذين عاشـوها منذ صباهم ووثقت شهادتهم المحكمة الشـرعية الكبرى بمكـة المكرمة ،تؤيـد الخرائط والصـور القديمة قبل أعمال التوسـعة السعودية ما أدلى به أولئك الشهود العدول قبل التغييرات التي طرأت على منطقة ما حول الحرم المكي الشريف.

تميزت العمارة السـعودية فيما يخص جبـل الصفـا، بقطعه عن أصله جبـل أبي قبيـس، وأبقت على بعض الصخرات في نهايته، علامة على موضع المشعر، وكذلك بالنسـبة لجبل المروة، بيد أن وجود مسـتويين للحـرم الشـريف في جهة المـروة أُحدث لـه مدخلان: مدخل أعلى للـدور الأعلى وهو مسـاو لارتفاع جبل المروة في اتجاه الصاعد إلى القرارة، ومدخل أسفل بقي لاتصال المروة المشـعر بأصله جبـل قعيقعان واضحـاً مؤدياً إلى المدعى وقد نـال حظه من القطع والتكسـير، والاختزال من جانبيه الشرقي والغربي، وأعلاه.

النصوص الفقهية فيما يخص حدود المسعى

تمثل النصوص الفقهية حقيقة قضية البحث :(المشكلة : وهي مدى امتداد جبلي الصفا والمروة عرضاً في الساحة الشرقية للحرم الشريف) وصحة السعي في الإضافة الجديدة ،مما يراد إثباته في هذا البحث.

الصفا والمروة في التراث الإسلامي (جبلان) ،والجبل معناه في اللغة العربية « اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد والشناخيب ، وأما ماصغر وانفرد فهو من القنان والقور، والأكم ، والجمع أجبل ، وأجبال، وجبال»(٧).

تتضح حقيقة (الصفا، والمروة) هل هما جبلان، أو أكمتان، أو مرتفعان من النصوص التالية:

جاء في كتاب القرى لقاصد أم القرى للحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري المكي(٦١٥ـ ٦٩٤هـ) (في الباب السادس عشر في السعي ١ ما جاء في سبب شرعية السعي):

«ثم نظرت[هاجر] إلى المروة فقالت لو مشيت بين هذين **الجبلين**، تعللت حتى يموت الصبي فمشت بينهما ثلاث مرات، أو أربع مرات، لا تجيز بطن الوادي إلا رملاً ، ثم رجعت إلى ابنها فوجدته ينشغ فعادت إلى الصفا، ثم مشت إلى المروة حتى كان مشيها سبع مرات...»(٨)

جاء في كتاب تفسير التحرير والتنوير للعلامة سماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور:

«والصفا والمروة اسمان **لجبلين** متقابلين، فأما الصفا: فهو رأس نهاية جبل أبي قبيس ، وأما المروة فرأس هو منتهى جبل قعيقعان...»(٩)

تنص كتب الفقه في جميع المذاهب على أن من واجبات السعي استيفاء

المسافة بين جبلي الصفا والمروة، ويتعرضون أحياناً إلى تحديد المسافة الطولية دون العرضية، وهذا يوضح أن مناط الحكم، ومتعلقه في استيفاء المسافة الطولية هو أداء شعيرة السعي بين جبلي الصفا والمروة بصرف النظر عن السعة العرضية مادام يصدق على الساعي أنه أدى شعيرة السعي بين الجبلين المذكورين، وفي حدودهما، ومن ثم يحكم بالصحة على السعي إذا أكمل الحاج، أو المعتمر الشعيرة بتلك المسافة حسبما قررها علماء المناسك، أو عدم الصحة إذا لم يستوف تلك المسافة بين الجبلين المذكورين. فالواجب على الساعي كما هي نصوص كافة الفقهاء تحري كمال المسافة الطولية بين جبلي الصفا والمروة لا غير، وندر من نوه من الفقهاء عن المساحة العرضية، وإذا ذكر الانحراف في بعض نصوص الشافعية، أو غيرهم فإنما يتحقق بالخروج عن عرض الجبلين الصفا والمروة، ذلك لأنه لم يذكر أحد من الفقهاء نصاً، أو أثراً (فيما أحاط به العلم) يحدد عرض المسعى، وما ورد ذكره هو تقرير للواقع ليس إلا، وليس هو في معرض الاستدلال للعرض ولا يحتج بمثل ذلك في إثبات عرض المسعى؛ إذ لم يذكره أحد من الفقهاء استدلالاً، بل تحديد لواقع العرض في زمانه، وهو تحديد تقريبي، وفيما يلي اقتباس لنماذج مختارة من نصوص فقهية من الكتب المعتمدة:

الصفا والمروة في كتب المناسك في المذاهب الأربعة

المذهب الحنفي:

«شرائط صحة السعي.. الأول: (كينونته بين الصفا والمروة) أي بأن لا ينحرف عنهما إلى أطرافهما سواء كان بفعل نفسه، أو بفعل

غيره بأن كان مغمى عليه، ولو بغير أمره.. محمولاً، أو راكباً صح سعيه أي لحصول سعيه كائناً بينهما أي بين المكانين».[١٠]

المذهب المالكي:

«وأما الواجب فيحصل بدخوله بنفسه، أو بدايته تحت العقد المشرف على المروة، وبوقوفه بنفسه، أو بدايته على الأرض ملاصقاً لأسفل ما ظهر من الدرج، أو قريباً من ذلك، لأنه يصدق عليه أنه استوعب ما بين الصفا والمروة»[١١].

المذهب الشافعي:

«أما واجبات السعي: فالأول منها أن يقطع جميع المسافة بين الصفا والمروة على أي صفة من المشي والسير حتى لو أبقى من المسافة بعض خطوة، أو أقل لم يصح».[١٢]

يقول العلامة شمس الدين الرملي الشافعي: « ويشترط قطع المسافة بين الصفا والمروة كل مرة، ولابد أن يكون قطع ما بينهما من بطن الوادي، وهو المسعى المعروف الآن، وإن كان في كلام الأزرقي ما يوهم خلافه فقد أجمع العلماء وغيرهم من زمن الأزرقي إلى الآن على ذلك، ولم أر في كلامهم ضبط عرض المسعى، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه، فإن الواجب استيعاب المسافة بين الصفا والمروة كل مرة، ولو التوى في سعيه عن محل السعي يسيراً لم يضر كما نص عليه الشافعي»[١٣]

المذهب الحنبلي:

«ويجب استيعاب ما بين الصفا والمروة لفعله ﷺ، فإن لم يرقهما ألصق عقب رجليه بأسفل الصفا، وألصق أبعدهما بأسفل المروة ليستوعب ما بينهما، وإن كان راكباً لعذر فعل ذلك بدابته، وهذا كان أولاً، أما بعد العمارة الجديدة فالظاهر أنه لا يكون مستوعباً إلا إذا رقى على المحل المتسع، وهو آخر

درجة والله أعلم».[١٤]

وقد جاء في نص القرار ١١٨٤الوارد من الهيئة المشكلة من: السيد علوي المالكي، وعبد الملك بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن دهيش رقم ٣٥، في ١٣٧٤/٩/٢٣هـ مايأتي:

« ولم نجد للحنابلة تحديداً لعرض المسعى، وجاء في المغني صحيفة ٤٠٣، جلد ٣: أنه يستحب أن يخرج إلى الصفا من بابه، فيأتي الصفا فيرقى عليه حتى يرى الكعبة، ثم يستقبلها، قال في الشرح الكبير صحيفة ٤٠٥، جلد ٣: فإن ترك مما بينهما شيئاً (أي ما بين الصفا والمروة) ولو ذراعاً لم يجزئه حتى يأتي به انتهى، هذا كلامهم في الطول، ولم يذكروا تحديد العرض»[١٥]

وقد جاء ضمن هذا التقرير: «وحيث إن الأصل في السعي عدم وجود بناء، وأن البناء حادث قديماً وحديثاً، وأن مكان السعي تعبدي، وأن الالتواء اليسير لا يضر؛ لأن التحديد المذكور بعاليه العرضي تقريبي بخلاف الالتواء الكثير كما تقدمت الإشارة إليه»[١٦]

ذكر العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي عن بعض اجتماعات الشيخ محمد بن إبراهيم أيام الحج بالعلماء من بلاد الحرمين والمملكة العربية السعودية وناقشوا كثرة الحجاج والحلول لكثرة الزحام وتعرضوا من بين المسائل :» لمسألة توسعة المسعى منهم من قال :

«إن عرضه لا يحد بأذرع معينة، بل كل ما كان بين الصفا والمروة فإنه داخل في المسعى كما هو ظاهر النصوص من الكتاب، والسنة، وكما هو ظاهر فعل الرسول ﷺ وأصحابه ومن بعدهم، ومنهم من قال يقتصر فيه على الموجود، لا يزاد فيه إلا زيادة يسيرة، يعني في عرضه وهو قول أكثر الحاضرين».

يعلق فضيلة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي قائلاً :

«ويظهر من حال الشيخ محمد أن يعمل على قول هؤلاء؛ لأنه لا يحب التشويش واعتراض أحد»[١٧].

التحولات التاريخية لمشعر المسعى

جاء في تاريخ العلامة أبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي فيما يتصل بالتحولات التاريخية لمشعر المسعى تحت عنوان: (ذكر زيادة المهدي الآخرة في شق الوادي من المسجد الحرام) قوله:

« وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم، وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر عند حد ركن المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي فيها علم المسعى، وكان الوادي يمر دونها في موضع المسجد الحرام اليوم».[١٨]

كما ذكر العلامة الأزرقي تحت عنوان: (ذكر ذرع ما بين الركن الأسود إلى الصفا، وذرع ما بين الصفا والمروة) قوله:

«وذرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى العلم الذي بحذائه على باب دار العباس ابن عبدالمطلب، وبينهما عرض المسعى خمسة وثلاثون ذراعاً ونصف، ومن العلم الذي على باب دار العباس إلى العلم الذي عند باب دار ابن عباد الذي بحذاء العلم الذي في حد المنارة وبينهما الوادي مائة ذراع وواحد وعشرون ذراعاً».[١٩]

ما ذكره الأزرقي هنا يقرر فيه واقع المسعى بعد توسعة محمد المهدي في موضعين :

أولاً: المسافة العرضية بين دار العباس ، وباب المسجد مقابله خمسة وثلاثون ذراعاً .

ثانياً: المسافة بين العلم على باب دار العباس إلى العلم الآخر الذي

عند دار ابن عباد بحذاء العلم الذي في حد المنارة، مائة ذراع وواحد وعشرون ذراعاً، وهذا مقدار المسافة بين العلمين طولاً .

يؤكد المؤرخ الفقيه العلامة قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي المكي المتوفى عام ٩٨٨هـ ما ذكره الفقهاء المؤرخون قبله: الأزرقي، والفاكهي، والفاسي (٨٣٢هـ) وغيرهم لما حدث قبله، وظل واقعاً قائماً حتى عصره في قوله:

«كان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم، وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر العبادي عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي عن دونها في بعض المسجد الحرام اليوم، فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادي، وجعلوا المسعى والوادي فيها، وكان عرض الوادي من الميل الأخضر اللاصق للمئذنة التي في الركن الشرقي، وكان هذا الوادي مستطيلاً إلى أسفل المسجد الآن يجري فيه السيل ملاصقاً لجدر المسجد إذ ذاك، وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليماني.. ويجعل مسيلاً محلاً للسعي ..»[٢٠]

ثم أضاف العلامة الفقيه المؤرخ قطب الدين الحنفي قوله:

« وأما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق أنه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله ﷺ، أو غيره فكيف يصح السعي فيه، وقد حوّل عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات؟

ولعل الجواب عن ذلك: أن المسعى في عهد رسول الله ﷺ كان عريضاً، وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي، وأدخل بعضها في المسجد الحرام، وترك بعضها للسعي فيه، ولم يحول تحويلاً كلياً، وإلا لأنكره علماء

الديـــن مـــن الأئمـــة المجتهدين مع توفرهم إذ ذاك، فـــكان الإمامان أبو يوســـف، ومحمد بن الحسن، والإمام مالك بن أنس رضي عنه موجودين يومئـــذ، وقد أقروا ذلك، وســـكتوا، وكذلك مـــن صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل، وبقيـــة المجتهدين، فكان إجماعاً منهم على صحة السعي من غير نكير نقل عنهم».[٢١]

البيئـة الطبيعية للصفـا والمروة وما طرأ عليهما مـن تغييرات عبر التاريخ

تقديم:

من المسلّمات في الشرع الإسلامي أن أماكن المشـــاعر المقدســـة، ومنها الصفـــا والمروة تعبديـــة، توقيفية لا تقبـــل التبديل، وعلـــى الرغم من هذا طـــال التغيير موضع المســـعى المشـــعر عبر التاريخ، وبالتحديد في زمـــن الخليفة المهـــدي، ولم يثر هذا اعتراض أحد مـــن الأئمة في ذلك الوقت، على الرغم من وجود كبار أئمة الإسلام وفقهائه، موضحاً هذا في النص التالي:

« وهاهنا إشـــكال مـــا رأيت من تعرض لـــه وهو: أن الســـعي بين الصفا والمروة مـــن الأمور التعبدية الـــتي أوجبهـــا الله تعـــالى علينا في ذلك المحل المخصوص، ولا يجوز لنا العدول عنـــه، ولا تعتبر هذه العبادة إلا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله ﷺ، وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشـــريف، وحول المسعى إلى دار ابن عباد كما تقدم.

وأما المكان الذي يســـعى فيه الآن قلا يتحقق أنه بعض من المســـعى الذي ســـعى فيه رســـول الله ﷺ أو غـــيره فكيـــف يصح الســـعي فيه، وقد حول عن محلـــه كما ذكر هؤلاء

الثقــات ، ولعل الجواب عن ذلك : أن المسعى في عهد رسول الله ﷺ كان عريضاً وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المســعى القديم فهدمها المهدي ، وأدخل بعضها في المســجد الحــرام وترك بعضها للســعي فيه ولم يحول تحويلاً كليــاً ، وإلا لأنكره علماء الدين مــن الأئمة المجتهدين مع توفرهم» (٢٢)

إن ما توصــل إليه العلامة الفقيه قطب الدين النهروالي صحيح، وأن المسعى، كان عريضاً في عهد الرسول ﷺ، ولذلك لم يبد الأئمة اعتراضاً على ذلك التحويل، بل هو تحويل في حدود ما يسمى بالمسعى، ومن أجل تقعيد هذه العبارة وتأصيلها لابد أن تستند إلى حقائق علمية موضوعية، ووضــع طبيعــي لتشــكل ضابطاً فقهيــاً في هذا الموضــوع، كما هي عــادة الفقهاء، وأن لا يترك الموضوع للعموميات، فلا بد لمثل هذه الأمور من ضابط، وهذا مــا اعتنى به هذا البحث وتوصل إليه.

الصفا جبل متصل بجبل أبي قبيس أقيمت عليه المنازل عبر العصورحتى حجبت جزءاً كبيراً منه ، يتجلى هذا في الصور الفوتوغرافية قبل مشروع توسعة الحرم الشريف عام ١٣٧٥هـ.

كان جبل الصفا يفصل شمال مكة عن جنوبها ، وبالجانب الغربي منه يقــع وادي إبراهيــم ، وفيه الطريق الذي يوصل شمال مكة بجنوبها ، ولما بدأت توسعة الحرم المكي الشريف عام ١٣٧٥هـ وضم المسعى إلى الحرم الشريف، اضطرت الدولة السعودية إلى إيجاد طريق يصل شمال مكة بجنوبها تســلكه الســيارات فبدأت بقطع الجبل مــن جهة أبي قبيس ، والجبل مــن جهة الصفا ، واســتعملت في ذلك الوقــت الآلات المتاحة فقامت باستعمال منشــار حديدي استغرق شــهوراً طويلة حتى تمكنت من شق

طريق يتسع للسيارات ، ومر على جبل الصفا في فترات مختلفة تكسير وتمهيد وتسوية بالأرض حتى بلغ إلى الحد الذي اختصر فيه الجبل من أعلاه ما نشاهده في الوقت الحاضر في مشعر الصفا من بقايا الجبل ، أما قاعدة الجبل فهي أكبر بكثير من المشاهد على سطح الأرض.

أما جبل المروة فظاهر عرضه ، وامتداده في الوقت الحاضر بما يدل على قاعدة عريضة جداً؛ ذلك أن الهابط من شارع المدعى في الوقت الحاضر يطلع صعوداً إلى جبل المروة، وامتداده شرقاً وغرباً وشمالاً، واضح للعيان بما لا يحتاج إلى دليل.

أصاب الجبلين عبر التاريخ الكثير من التغييرات: تكسيراً، وقطعاً، وإزالة من جميع جوانبهما، وبنيت عليهما البيوت، والقصور الشامخة ، وتعرض عرض المسعى إلى التعديات وبناء المساكن مما أدى إلى ضيقه من جميع جوانبه ، ومن ثم فرض على ولاة البلد الأمين في ذلك الوقت إحاطة الصفا والمروة بالبناء من جوانبهما الثلاثة كما هو مشاهد في صورهما القديمة؛ حتى لايطول التعدي المساحة الطولية لها، وأصبح واضحاً أن العقود في واجهة الصفا، والعقد الكبير في واجهة المروة لاتمثل بحال عرض المسعى ، وإنما شيدت حماية للمشعر من التعدي ، وليس معناها أنها استوعبت عرض المسعى ، هذا ما جاء صريحاً في قرار اللجنة المكونة من كل من:

«الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، والشيخ عبد الله الجاسر ، والشيخ عبد الله بن دهيش ، والسيد علوي مالكي ، والشيخ محمد الحركان ، والشيخ يحي أمان ، بحضور صالح قزاز ، وعبد الله بن سعيد مندوبي الشيخ محمد بن لادن ...وقرروا ضمن الكلام على (مساحة الصفا

والمروة واستبدال الدرج بمزلقان، ونهاية أرض المسعى في قرار مشايخ): ولكون العقود الثلاثة القديمة لم تستوعب كامل الصخرات عرضاً، فقد قررت اللجنة أنه لامانع شرعاً من توسيع المصعد المذكور بقدر عرض الصفا»[٢٣].

وهذا ما سيقف القارئ عليه في العنصر التالي المتعلق بالجانب التاريخي تفصيلاً .

توّجت واجهة الصفا قديماً بعقود ثلاثة، وواجهة المروة بعقد واحد كبير ممتد من الطرف الشرقي حتى نهاية الطرف الغربي، وقد حرص الخلفاء عبر التاريخ الإسلامي على المحافظة على هذه الحدود بإحاطتهما بالبناء؛ لما لاحظوه من كثرة التعدي بالبناء على جانبيهما الشرقي والغربي، والشمالي، والجنوبي، وليحافظوا على ما تبقى حتى لا يتعدى على فضائهما، وقد أحاطت بهما المنازل من جهاتهما، تحدث عن هذا المؤرخون بالتفصيل[٢٤].

مشعر الصفا قبل توسعة الحرم عام ١٣٧٥هـ

في وصف تفصيلي للصفا قبل الهدميات التي تمت لتوسعة الحرم الشريف، وقد كان البدء به من جهتهما ، يقول الزميل الدكتور عويد بن عياد المطرفي، وهو ممن درج في رحاب هذه الأماكن الطاهرة منذ الصبا، ومرحلة الشباب، وتابع بدقة ما جرى في المسعى وبخاصة الصفا والمروة وما طرأ عليهما من تغيرات:

«وهنا أقول: إن الصفا الوارد ذكره في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾[٢٥]، جبل في سفح جبل أبي قبيس معروف بذاته وصفاته يمتد ارتفاعاً في سنده[٢٦]، ويمتد في أصله وقاعدته الغربية

جنوباً إلى منعرجه نحو أجياد الصغير (موضع قصر الضيافة اليوم)، ويمتد شمالاً إلى منعطفه نحو البطحاء (موضع الساحة الواقعة اليوم أمام باب العباس).

سعيهم كما يتبادر إلى بعض الأذهان من مشاهدة العيان؛ إذ لو كان الأمر كذلك لاستدعى الحال أن نضيِّق من عرض المسعى!!!.

صورة جبل الصفا بعد إزالة المباني من علا قمته

وليس الصفا مقصوراً على الحجر الأملس الذي كان موجوداً هنالك، ولا على ما هو مشاهد اليوم في الموضع الذي يبدأ منه الساعون

وهذا مما لايقول به عاقل».

وكانت أحداب ومرتفعات جبل الصفا الغربية مما يلي أجياد تمتد ظاهرة للعيان قبل أن تبدأ الهدميات لتوسعة المسعى والمسجد الحرام من

ناحيته الجنوبية وغيرها في شهر صفر عام ١٣٧٥هـ في عهد الملك سعود، وكان على أحد أكتافه الممتدة جنوباً المتصلة بأجياد الصغير ثنية يصعد إليها من أجياد الصغير ، ثم تنحدر منها طريق تمر وسط سقيفة مظلمة، ومنها تنزل الطريق من فوق هذا الجبل متعرجة بين البيوت المنتشرة على تلك المنطقة من جبل الصفا حتى تصل إلى الصفا الذي يبدأ الساعون منه سعيهم في غربه.

كما كانت البيوت السكنية شابية على جبل الصفا من كل ناحية تفترش قمته وأكتافه ، وظهره ، وسفحه الشمالي والجنوبي ووسطه، وما يحيط بموضع ابتداء السعي منه فغطت معالمه ومنحدراته التي تعلوها في الجبل أصلاً صخور جبل أبي قبيس التي استعصى كثير منها على التسهيل لبناء الناس عليها يومذاك.

ولما ابتدأت هدميات هذه التوسعة ظهر للعيان جبل الصفا على حقيقته الجغرافية الطبيعية التي خلقه الله عليها يوم خلق السموات والأرض، وأن امتداد طرفه الغربي الجنوبي المحاذي لمسيل البطحاء من جنوبها كان يصل قبل إزالته في التوسعة إلى موضع الباب الشرقي للسلم الكهربائي الصاعد اليوم إلى الدور الثاني من المسجد الحرام من ناحية أجياد ، وإلى موضع قصر الضيافة الملاصق للبيوت الملكية من الجهة الجنوبية الذي موضعه الحالي جزء مرتفع من جبل الصفا.

فلا تعجب والحال ما ذكرت لك من تسمية كل هذه المنطقة من هذا الجبل باسم (جبل الصفا) ؛ لأن أهل مكة في إبان أرومتهم العربية في الجاهلية والإسلام هم الذين سموه بهذا الاسم ، وتبعهم في ذلك سكانها من بعدهم ؛ إذ كان من عادة

واضعي اللغة الذين يحتج بكلامهم في بيان المراد بمعاني الألفاظ في تفسير القرآن ، وغريب الحديث النبوي، أن

الجنوبية، وما بينهما من امتداد بالصفا الذي جعله الله عز وجل من شعائره في قوله: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ

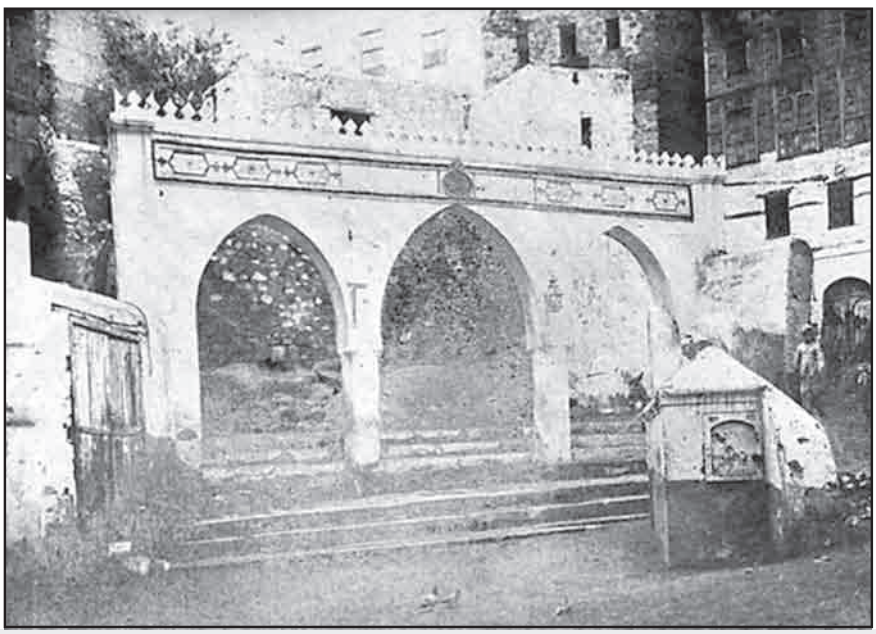

العقود التي كانت مقامة على الصفا

يسموا بعض أجزاء جبل ما ، أو واد ما باسم خاص به يميز ما سموه منه عن اسم أصله لوصف قائم بذلك الجزء من الجبل أو الوادي، كما هو الحال في تسميتهم أصل جبل أبي قبيس من ناحيته الغربية ، والغربية

الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾ ...

وذكر أبو إسحاق الحربي في وصفه لمكة يوم أن حج إليها في كتابه (المناسك): جبل الصفا، وذكر أن امتداده أمام جبل أبي قبيس من طرف باب الصفا إلى منعرج الوادي... وأن

طرفاً من جبل أبي قبيس يتعرج خلف جبل الصفا)[٢٧]

وتعرج جبل أبي قبيس الذي يحتضن جبل الصفا من خلفه ، والصفا أسفل منه من أول منعرجه من ناحية البطحاء (الساحة الشرقية للمسعى اليوم) إلى منعطفه إلى أجياد الصغير (موضع قصر الضيافة اليوم) تغطيه الدور التي كانت تجثم على قاعدته ، وعلوه ، وأسفله إلى موضع السعي من الصفا المعروف اليوم كما سبق أن ذكرت آنفاً قد أزيل من موقعه بقصد توسعة المسجد الحرام على مرحلتين:

أولاهما: عام ١٣٧٥هـ حين قطعت أكتاف جبل الصفا ، وفتح عليها شارع لمرور السيارات يصل بين أجياد والقشاشية التي لم تبق لها اليوم عين أيضاً.

وثانيتها في عام ١٤٠١هـ أزيل هذا الشارع وقطع الجبل من أصله ، وفصل موضع الصفا عن الجبل ، وفتح بينه وبين الجبل الأصل طريق متسع للمشاة بين ما بقي من أصل الجبل وبين جدر الصفا من خارجه الشرقي تسهيلاً للحركة والمشي حول المسجد الحرام، يسّر على الناس عناء صعود الجبال والهبوط منها في ذلك الموضع .

وبهذا أزيل ظاهر جبل الصفا من الوجود ، ودخل في ذمة التاريخ في هذا العام ١٤٠١هـ بيد أن أصله وقاعدته موجودة تحت أرض الشارع المذكور ،ممتدة إلى منعطفه الشمالي الشرقي المواجه لساحة المسعى الشرقية تثبت امتدادته قبل نسفه ، وفصله عن أصله ، وإزالة الظاهر على وجه الأرض منه.

كما أن قول أبي إسحاق في تحديده لجبل الصفا (إلى منعرج الوادي) ينص صراحة على اتساع هذا الجبل شمالاً إلى منعطفه من واجهته

الغربيــة إلى منعطفه نحو الشــمال المقابل للبطحاء (الســاحة الشرقية للمسعى).

ولاريب أن ما بــين طرفه الغربي

ويترتب علــى هــذا أن المنطلق (أي الســاعي) بنية السعي من أي موضع مما يشمله اســم الصفا لغة وعرفاً يكون داخــلاً في عموم المراد

صورة توضح الامتداد الطبيعي لجبال الصفا باتجاه دار الأرقم ، ولاتزال العقود في مكانها بعد إزالة المباني

الجنوبــي ، وطرفــه الشــمالي عند منعرج الوادي إلى الشرق من ناحية الشمال تشــمله التسمية المقصودة بالخطاب في هذه الآية الكريمة ...

بالخطاب بهذه الآية الكريمة ســاعياً بحق وحقيقة بــين الصفا والمروة إذا مــا انتهى به ســعيه ممــا ذكرت إلى مسامت له من جبل المروة المقابل له

من ناحية الشمال»[٢٨].

انتهى فضيلة الدكتور عويد المطرفي إلى القول:

« وإنما ذكرت هذا بياناً لجمل ما أردت إيضاحه من أن الصفا متسع التكوين عريض الامتدادات من جنوبه الغربي ، وشماله المحاذي للامتداد الشرقي والغربي لجبل المروة ، وليس مقصوراً على الموضع الذي حجز اليوم بالبناء عليه لبدء الساعين منه سعيهم ، كما يتبادر لعين المشتغل بأداء شعيرة السعي فيه ليعلم أن ما يصل بين موضعين متقابلين من هذين الجبلين مشمول بخطاب ما شرعه الله تعالى من التطوف بهما للحاج والمعتمر».[٢٩]

مشعر المروة قبل توسعة الحرم عام ١٣٧٥هـ

وصف فضيلة الدكتور عويد عياد المطرفي جبل المروة وصفاً دقيقاً لطبيعة الجبل والإحداثات التي كانت موجودة عليه ، وأسماء السكان الذين أقاموا منازلهم عليه بما يثبت معرفته التامة بالمنطقة ، وأهلها ، نلخص منه الآتي:

«وأما المروة المرادة بالخطاب في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾ فهي كما قال ابن منظور في كتابه لسان العرب: «جبل بمكة شرفها الله تعالى»، وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في شرحه تاج العروس: «المروة بهاء جبل بمكة يذكر مع الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾ ثم قال الزبيدي أيضاً: قال الأصمعي : سمي (أي الجبل) لكون حجارته بيضاً براقة ...»[٣٠]

ثم انتهى بعد ذكر النصوص على أن المروة جبل إلى القول :

« وكل هذا يــدل صراحة على أن المروة جبل قائم بذاته وصفاته ، ممتد الجوانب ، واســع الوجهــة المقابلة من الشــمال لجبل الصفا ، وامتداده إلى منعطفه نحــو الوادي المواجه من الشمال الشرقي لبطن المسعى ...»

يؤيد ما أقول من اتساع جبل المروة في تكوينــه الطبيعــي الكبير الممتد شــرقاً وغرباً عما هــو عليه الآن إذ قد أزيلت معالمه الشرقية ، وقطعت متونه وأكتافه ، وامتداداته العضوية التي خلق عليها في التوسعة للحجاج والمعتمرين والقاطنين عام ١٣٧٥هـ .

وقــد كان معروفــاً قبل نســف ارتفاعات هذا الجبل وإزالتها أن جميع المباني والبيوت التي كانت قائمة في هذه المنطقة كانت مبنية على الجبل ، وأن ارتفاعاته التي كانت تحت تلك البيوت قد أزالتها معاول النســف والتفجير تســهيلاً لسير الناس من حجاج وعمار ومواطنين عليها دون إعاقة ولا عنت.

وكانت تلك البيوت السكنية التي لا يزال بعض سكانها أحياء يرزقون والحمد لله أعرف كثيراً منهم تفترش بيوتهم واجهة جبــل المروة الممتدة شــرقاً إلى الطريق النازل اليوم من المدّعى إلى ساحة المسعى،كما تفترش ســفحه ومنحدراتــه وارتفاعاتــه الواقعة على واجهته الجنوبية المطلة على المسعى ، وعلى الوادي الفاصل بين جبــل الصفا وجبل المروة الذي انتطحته البيوت السكنية هو الآخر قبل التوســعة الســعودية فأذهبت معالمه ، وقطعت ظاهــر ما كان بين الصفــا وجبــل المروة مــن اتصال متســع ينجو به الساعون من مخاطر ومحاذيــر الازدحــام؛ إذ كانت الجهة الشــرقية للمسعى فضاء غير محدود ببناء قبــل أن يزحف عليها الناس ، ويضيقوا ســعته بما أقاموا عليها من دور ومنازل قبل أن تفك التوســعة

السعودية ضائقته ، وتطلق أسره من المعتدين عليه .

ومن ثم عاد مهندسو التوسعة السعودية فضيقوا على المسعى ما انفسح به عرضه ، ولو تركوه دون أن يقيموا عليه جدراً من الشرق لما ضاق المسعى اليوم بأحد من الساعين، ولما احتاج الأمر منا إلى بيان ، ولا إلى رجاء توسيع عرضه .

وأعود فأقول: إن الواجهة الجنوبية الشرقية لجبل المروة المواجهة لجبل الصفا من الشمال كانت مغطاة بالبيوت السكنية منقادة متراصة بعضها بجانب بعض على طول متن الجبل من ملاصقة جدر المروة الشرقي إلى الطريق الصاعد من شرقي الطرف الشمالي للمسعى إلى المدعى.

وقد كانت بيوت السادة المراغنة التي كان يستأجرها صالح بن محمد سابق على جبل المروة ملاصقة جدرانها جدر المروة الشرقي ، وعرض بيتهم الملاصق لجدر المروة من الشرق ممتداً نحو الشرق حوالي خمسة عشر متراً.

ويتصل به ملاصقة من الشرق حوش المحناطة الذي كان بائعو الحبوب بالمدعى ينخلون فيه حبوبهم قبل بيعها،وامتداده من دار المراغنة على جبل المروة أيضاً إلى جهة الشرق باتجاه طريق المدعى حوالي خمسة وعشرين متراً.

فهذا بعض عرض واجهة مرتفعات جبل المروة من ناحية الشرق من ملاصقة المروة التي يسعى منها الناس على خط مستقيم نحو الشرق إلى شارع المدعى على متن جبل المروة كان مرتفعاً جبلياً عن مستوى المسعى ارتفاعاً ظاهراً يعرفه العام والخاص قبل تكسيره وتسويته بالأرض ، ويلاصق بيت المراغنة الآنف الذكر من الجنوب

على امتداد طول المسعى على واجهة المسعى الشرقية على يسار النازل من المروة منحدراً إلى المسعى «والحاصل الذي لا مين ولا مراء فيه، أن المرتفعات الجبلية الصخرية لواجهة جبل المروة الشرقية الجنوبية

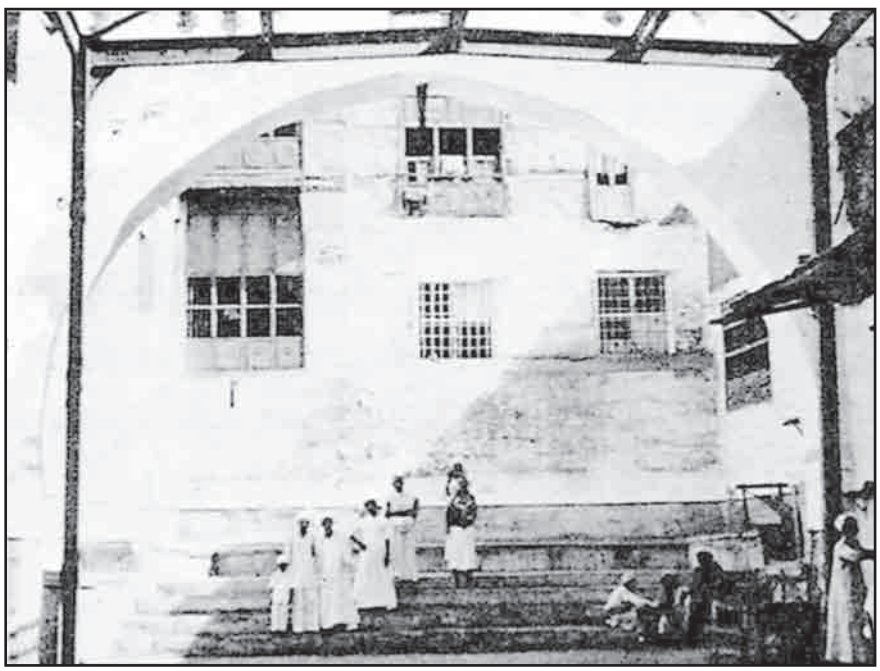

متجهاً إلى الصفا وقف المراغنة يفتح بابه على داخل المسعى .»

ثم تعرض في بحثه القيم إلى ذكر أسماء سكان الجهة الشرقية للمسعى وترتيب منازلهم بدقة كاملة ، ثم انتهى إلى النتيجة التالية فيما يتعلق بجبل المروة قائلاً:

تمتد شرق موقع المروة الحالي الذي يقف عليه الساعون اليوم زيادة عما هو عليه الحال الآن بما لا يقل عن أربعين متراً من ناحية الشرق حتى تلاقي الطريق النازل من المدعى إلى ساحة المروة الشرقية ...»[٣١]

تقرير هيئة المساحة الجيولوجية

أيد العلم الحديث الحقائق السابقة فقد قامت هيئة المساحة الجيولوجية، وكشفت عنها في تقريرها العلمي المقدم لمعهد خادم الحرمين لأبحاث الحج عندما قامت باختبار العينات في جبلي الصفا والمروة في منطقة السعي الحالية، والمنطقة المستهدفة للتوسعة، واستخدمت آلياتها الثقيلة من حفارات نزلت إلى أعماق الصخور في الأرض لاختبار عينات من جبلي الصفا والمروة في مكانهما الحالي، والامتداد الشرقي المطلوب التوسعة فيه فتوصلت إلى النتيجة التالية في (تقرير دراسة الامتداد الشرقي لجبلي الصفا والمروة) مقدم لمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج جاء فيه مايلي:

التوصيات : الدراسة الجيولوجية:

قدمت هيئة المساحة الجيولوجية السعودية خريطة جيولوجية لمنطقة المسعى تم إعدادها قبل عشرين عاماً موضحاً عليها الامتدادات السطحية لجبلي الصفا والمروة قبل مشروع التوسعة السعودية الأولى مرفق نسخة الخريطة حيث أثبتت :

أن جبل الصفا لسان من جبل أبي قبيس ، وأن لديه امتداداً سطحياً بالناحية الشرقية مسامتاً للمشعر بما يقارب ٣٠ متراً .

١- أن جبل المروة يمتد امتداداً سطحياً مسامتاً للمشعر الحالي بما يقارب ٣١ متراً»[٣٢]

وقد أرفقت في تقريرها الخرائط المتنوعة تحت العناوين التالية:

«صورة توضح الامتداد الطبيعي لجبل الصفا باتجاه دار الأرقم ولا تزال العقود في مكانها بعد إزالة المباني .

صورة أخرى لنفس المنطقة بعد بدء عمليات إزالة المباني في السبعينات الهجرية.

مواقع الحفر لجسات الصخور في المنطقة الممتدة شرق جبل المروة .

خارطة تبين الامتداد الشرقي لمحلة المروة قبل هدميات ١٣٧٣هـ

كما بينه العلماء، وحرره ابن القيم في إعلام الموقعين فقال:

(وأما نقل الأعيان وتعيين الأماكن، فكنقلهم الصاع والمد،

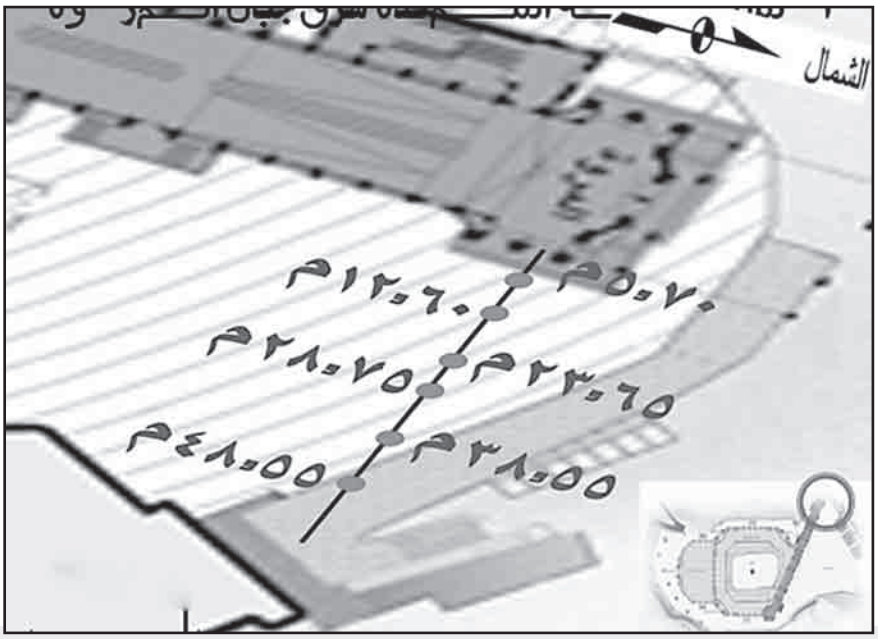

مواقع الحفر لجسات الصخور في المنطقة الممتدة شرق جبل المروة

شهادة أهل الخبرة من المكيين

صدق المثل القائل: (أهل مكة أدرى بشعابها)، يؤيد هذا ماهو معروف شرعاً وعرفاً أن:

«النقل بالتوارث من طرق الإثبات،

وتعيين موضع المنبر ، وموقفه للصلاة، والقبر ، والحجرة ، ومسجد قباء ، وتعيين الروضة ، والبقيع ، والمصلى ونحو ذلك.

ونقل هذا جار مجرى نقل مواضع

عمال هيئة المساحة الجولوجية لدى جسات الصخور لجبل المروة

عملية الحفر لمنطقة جبل المروة

المناسك كالصفا والمروة، ومنى، ومواضع الجمرات، ومزدلفة، ومواضع الإحرام كذي الحليفة والجحفة، وغيرهما، فهذا النقل وهذا العمل حجة يجب اتباعها ، وسنة متلقاة بالقبول على الرأس والعين»(٣٣).

اتخذ التأكد والتثبت لامتداد المسعى من الجهة الشرقية مسارين في قناتين رسميتين :

أحدهما: هيئة تطوير مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة برئاسة معالي الدكتور ناصر بن محمد السلوم.

ثانيهما : معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج برئاسة عميده السابق معالي الدكتور أسامة بن فضل البار. فيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: بناءاً على الأمر السامي الكريم رقم ٨٠٢٠/ م ب وتاريخ

المروة قد تمت إزالة الصخور من المنطقة الجبلية أثناء مشروع التوسعة

العمق من ٠٠و٠٠ م إلى ١٢متر ويظهر فيها عروق المروة

١٤٢٦/٦/١٥هـ، المتضمن تكليف هيئة تطوير مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة بدراسة توسعة المسعى.

قامت الأمانة العامة للهيئة بعقد حلقات نقاش علمية بمقر معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بمكة المكرمة مع مجموعة من المشايخ وكبار السنّ المعمرين ومن سكان منطقة المسعى والباحثين والمهندسين لاستقراء وجهة النظر الشرعية والتاريخية حيال موضوع الدراسة وهم:

١- معالي الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.

الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً ورئيس المحاكم الشرعية الكبرى بمكة سابقاً.

٢- فضيلة الأستاذ الدكتور عويد بن عياد المطرفي.

الأستاذ بالدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى والباحث بتاريخ المناسك.

٣- سعادة الدكتور عبدالله بن صالح شاووش.

الباحث في تاريخ مكة المكرمة وأحد مؤلفي الأطلس التاريخي لمكة والمشاعر.

٤- سعادة الدكتور معراج بن نواب مرزا.

الباحث في تاريخ مكة المكرمة وأحد مؤلفي الأطلس التاريخي لمكة والمشاعر.

٥- سعادة الدكتور درويش بن صديق جستنية.

الباحث في مركز الاقتصاد الإسلامي ومن سكان المسعى.

كما كلفت الأمانة العامة الباحثين سعادة الدكتور عبدالله بن صالح شاووش وسعادة الدكتور معراج بن نواب مرزا بمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بإعداد

دراسة تاريخية وجغرافية عن منطقة المسعى إضافة إلى مسح كافة الصور والخرائط التاريخية. واستضافت مجموعة من كبار السن المعمرين من ذوي الخبرة بمنطقة المسعى وسكانها ضمت كلاً من:

١- معالي الدكتور محمد بن عمر الزبير.

مدير جامعة الملك عبدالعزيز الأسبق وأحد سكان المسعى.

٢- معالي المهندس محمد سعيد بن حسن فارسي.

المشرف على مكتب تخطيط المدن في فترة الثمانينات الهجرية وأمين محافظة جدة الأسبق.

٣- الشيخ عبدالرحمن عمر خياط.

من كبار السن والمعمرين.

٤- الشيخ محمد نور بن محمد سعيد عيد.

مدير عام الميزانية الأسبق بوزارة المالية وأحد سكان منطقة الصفا.

٥- المهندس محمد بن حسين جستنية.

أحد سكان منطقة المسعى.

٦- الأستاذ أحمد بن محمد سعيد عيد.

المراقب المالي بمنطقة مكة المكرمة سابقاً وأحد سكان منطقة الصفا.

حيث تم عقد عدد من الاجتماعات حضر بعضاً منها، إضافة إلى أصحاب الفضيلة والسعادة ومعالي أمين عام الهيئة الدكتور ناصر بن محمد السلوم وعدد من مسؤولي الهيئة وخبرائها.

كما قامت اللجنة بجولات ميدانية على منطقة المسعى يوم الأحد ١٤٢٧/٧/١٢هـ، ويوم الاثنين ١٤٢٧/١٠/٨هـ، بالاجتماع مع المشايخ والمعمرين من كبار السن من سكان منطقة المسعى في مقر المعهد بالعزيزية.

واستمعت اللجنة إلى عرض

مقــارن بين منطقــة المســعى قبل مشروع التوســعة السعودية الأولى عــام ١٣٧٥هـ، والوضــع الحالي من المهندس عبــدالله بن محمــد فوده، من معهد خادم الحرمين الشــريفين لأبحاث الحج، وشاهدت فلماً تاريخياً عن مشروع التوسعة والهدميات التي تمت عام ١٣٧٥هـ، قدمه المهندس بكر بن محمد بن لادن الرئيس التنفيذي لمجموعة بن لادن السعودية.

وفيمــا يلــي عرض لأهــم نقاط الدراســة والمقابلات الشخصية مع كبار السن من سكان المسعى:

أن المصادر التاريخية لم تشر مباشرةً إلى عرض الصفا والمروة وإن أشارت إلى تزاحم المساكن حولها منذ بداية القرن الثاني الهجري.

أن الصفــا والمروة لم يكن عليهما درج أو بناء وكان الساعي يسند فيهما حتى عهد الوالــي عبدالصمد بن عبدالله بن العباس (١٤٦- ١٤٩هـ) حيث أمر ببناء درج عليهما.

لم يشر كل من الأزرقي والفاكهي وهمــا من أوائل مؤرخــي مكة إلى العقود المقامــة على الصفا والمروة. وأول مــن ذكر ذلك هو الرحالة بن جبــير عندما حج عــام ٥٧٨هـ، عند وصف أقواس الصفا وعددها ثلاثة أقــواس وقوس واحد علــى المروة وحدد عرض عقــود الصفا بحوالي أحد عشــر متراً وعقد المروة بحوالي تسعة أمتار.

أشار المحب الطبري في كتابه شرح التنبيــه وهــو من مؤرخــي القرن السابع إلى كثرة الأبنية حول الصفا والمروة حتى ســترتها بحيث لا يظهر منها غير يسير في الصفا.

لم يتغير الوضــع الطبيعي لمنطقتي الصفا والمروة خلال القرون الماضية لصعوبة إزالة وتكسير الجبال، وعلى ســبيل المثــال فقد ظلّت المســالك والأزقة في منطقــة الصفا منذ عهد

الأزرقي (وهو في القرن الثالث) إلى ما قبل التوسعة السعودية الأولى (١٣٧٥هـ) لم تتغير، حيث يوجد شعيب من الناحية الغربية وهو الزقاق الصاعد إلى جبل أبي قبيس، ومن الناحية الشرقية يوجد زقاق غير نافذ يؤدي إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم وما بعده.

عند تنفيذ التوسعة السعودية ببناء المسعى عام ١٣٧٦هـ، تم تحديد خط رابط على استقامة واحدة بين المشعرين بما أضاف حوالي تسعة أمتار من جهة الشرق ناحية الصفا وعندما رأى بعض العلماء اجتهاداً عدم جواز السعي في المساحة المضافة تم وضع حاجز خشبي بعد تنفيذ المشروع عام ١٣٧٦هـ و ١٣٧٧هـ، إلا أنه قد تمت إزالة الحاجز وإجازة السعي في تلك المنطقة بناءاً على قرار اللجنة المشكلة من عدد من العلماء.

الاجتماع مع المشايخ والمعمرين من كبار السن من سكان منطقة المسعى في مقر المعهد بالعزيزية.

ثانياً: وثقت شهادة الشهود بالمحكمة العامة بمكة المكرمة لدى القاضي الشيخ عبد الله بن ناصر الصبيحي، وصدر بها صك شرعي برقم ١٥٨/ ٤٤/ ١١ تاريخ ١٤٢٧/١٢/٢٥هـ جاء فيه:

«في يوم الأحد الموافق ١٤٢٧/١٢/٢٤هـ حسب تقويم أم القرى حضر عميد معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج الدكتور أسامة بن فضل البار وأحضر معه فوزان بن سلطان بن راجح العبدلي الشريف حامل البطاقة رقم ١٠٠١٦٤٠٦٦ وهو من مواليد عام ١٣٤٩هـ، فقرر قائلاً: إنني أذكر أن جبل المروة يمتد شمالاً متصلاً بجبل قعيقعان وأما من الجهة الشرقية فلا أتذكر، وأما موضوع الصفا فإنني أتوقف، كما حضر الدكتور عويد

بن عياد بن عايد الكحيلي المطرفي حامل دفتر العائلة رقم ١٠٠١٧٨٧٧٦٩ وهو من مواليد عام ١٣٥٣هـ، وقرر قائلاً: إن جبل المروة كان يمتد شرقاً من موضعه الحالي بما لا يقل عن ثمانية وثلاثين متراً، وأمّا الصفا فإنّه يمتدّ شرقاً بأكثر من ذلك بكثير، كما حضر (فضيلة كبير سدنة البيت الشيخ) عبد العزيز بن عبدالله بن عبدالقادر شيبي حامل البطاقة رقم ١٠٠٧١٣٩٩٤٠ وهو من مواليد عام ١٣٤٩هـ، فقرر قائلاً : إن جبل المروة يمتد شرقاً وغرباً وشمالاً ولا أتذكر تحديد ذلك بالمتر، وأما الصفا فإنه يمتد شرقاً بمسافة طويلة حتى يقرب من القشاشية بما لا يزيد عن خمسين متراً.

كما حضر حسني بن صالح بن محمد سابق حامل البطاقة رقم ١٠٠٤٠٨٠٥٦٨ وهو من مواليد عام ١٣٥٧هـ، وقرر قائلاً : إن جبل المروة يمتد غرباً ويمتد شرقاً بما لا يقل عن اثنين وثلاثين متراً. وكنا نشاهد البيوت على الجبل ولما أزيلت البيوت ظهر الجبل وتم تكسيره في المشروع، وأما جبل الصفا فإنه يمتد من جهة الشرق بأكثر من خمسة وثلاثين أو أربعين متراً. كما حضر (مدير جامعة الملك عبد العزيز السابق معالي الأستاذ الدكتور) محمد بن عمر بن عبدالله زبير حامل البطاقة رقم ١٠٥٠٦٤٠٥٥٤ وهو من مواليد عام ١٣٥١هـ، وقرر قائلاً:

إن المروة لا علم لي بها، وأما الصفا فالذي كنت أشاهده أن الذي يسعى كان ينزل من الصفا ويدخل في برحة عن يمينه ، وهذه البرحة يعتبرونها من شارع القشاشية ثم يعود إلى امتداد المسعى بما يدل على أن المسعى في تلك الأماكن أوسع.

كما حضر (الدكتور) درويش بن صديق بن درويش جستنية حامل

البطاقة رقم ١٠١٩٥٥٩٥٨٠ وهو من مواليد عام ١٣٥٧هـ، فقرر قائلاً: إن بيتنا سابقاً كان في الجهة الشرقية من نهاية السعي في المروة وكان يقع على الصخور المرتفعة التي هي جزء من جبل المروة ، وقد أزيل جزء كبير من هذا الجبل بما في ذلك المنطقة التي كان عليها بيتنا وذلك أثناء التوسعة التي تمت في عام ١٣٧٥هـ ، وهذا يعني امتداد جبل المروة شرقاً في حدود من خمسة وثلاثين إلى أربعين متراً، شرق المسعى الحالي، وأما الصفا فإنها كانت منطقة جبلية امتداداً متصلاً بجبل أبي قبيس ويعتبر جزءاً منه وكنت أصعد من منطقة السعي في الصفا إلى منطقة أجياد خلف الجبل.

كما حضر محمد بن حسين بن محمد سعيد جستنية حامل البطاقة رقم ١٠٠١٧٧٠٢٠٣ وهو من مواليد عام ١٣٦١هـ ، وقرر قائلاً: إن جبل المروة كان يمتد من الجهة الشرقية والظاهر أنه يمتد إلى المدعى، وأما جبل الصفا فإنه يمتد شرقاً أيضاً أكثر من امتداد جبل المروة، فأمرت بتنظيم صك بذلك، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. حرر في ١٤٢٧/١٢/٢٤هـ.

القاضي عبد الله بن ناصر الصبيحي

القاضي بالمحكمة العامة بمكة المكرمة

تحليل المعلومات السابقة

في ضوء السابق من الحقائق اللغوية، والطبيعية، والتاريخية، ونصوص الفقهاء، وشهادة الثقات من كبار السن من السادة أهل مكة المكرمة يتبين الآتي:

أن عرض جبلي الصفا والمروة في أصلهما الطبيعي أكبر مما هو ظاهر على وجه الأرض، وأن امتدادهما في القاعدة أكبر بكثير مما هو على وجه الأرض خصوصاً وقد طالت قممهما وجوانبهما الظاهرة الكثير

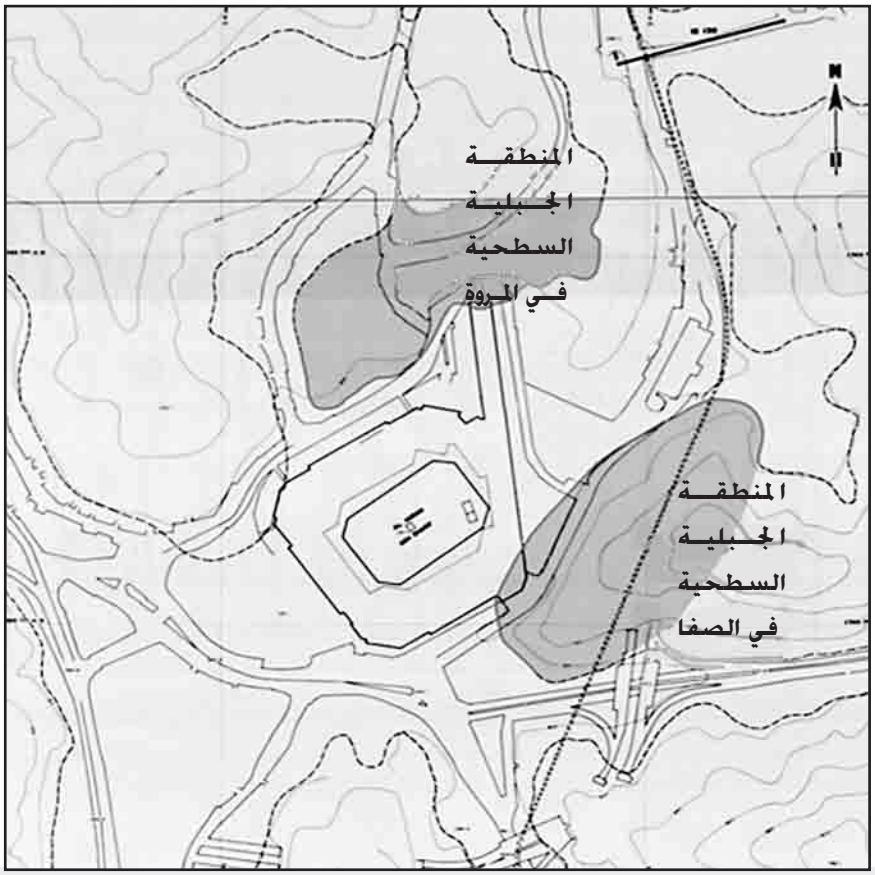

المنطقة السطحية لجبلي الصفا والمروة

من التكسير والتشذيب والتسوية مع سطح الأرض.

١- أن عرض المسعى لم يحدد نصاً، ولم يتعرض له الفقهاء، ومن حده من المؤرخين، أو الفقهاء نزر يسير جداً يعدون على أصابع اليد، وقد عبر عن هذه الحقيقة العلامة شمس الدين الرملي، إذ يقول: «ولم أر في كلامهم ضبط عرض المسعى، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه، فإن الواجب استيعاب المسافة بين الصفا والمروة كل مرة»[٣٤]، فلزم أن يكون مناط الحكم في تحديد

العرض هو مدلول كلمة (جبل الصفا) و (جبل المروة) بكامل المدلول اللغوي لهذين الاسمين.

أن مسافة عرض المسعى التي ذكرها بعض المؤرخين أو الفقهاء تقرير للواقع في ذلك الوقت بصورة تقريبية ليس إلا ، لم يرد فيها نص من السنة، أو الأثر، يقول العلامة ابن حجر الهيتمي المكي: « ولك أن تقول: الظاهر أن التقدير لعرضه {المسعى} بخمسة وثلاثين، أو نحوها على التقريب، إذ لا نص فيه يحفظ عن السنة فلا يضر الالتواء اليسير بحيث لم يخرج عن سمت العقد المشرف على المروة لم يضر».

٢- ذكر الفقهاء والمؤرخون المكيون أن المسعى في الوقت الحاضر منذ العهد بتوسعة الخليفة المهدي العباسي عام ستين ومائة ليست في الموقع الذي سعى فيه رسول الله ﷺ، وصحابته من بعده، فمن ثم أبرز العلامة قطب الدين بن علاء الدين النهروالي المكي الحنفي هذا الإشكال وأجاب عليه ، كما تقدم ذكر هذا سابقاً. علماً بأن المقصود بكلمة (الموقع الذي سعى فيه رسول الله ﷺ) هو مكان الهرولة بين الميلين الأخضرين.

الخاتمة

من خلال ما تقدم عرضه من العناصر توصل البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: خصت الصفا والمروة بالذكر في النصوص الشرعية: الكتاب والسنة، ضمن شعائر الحج والعمرة لتكون علامات طبيعية ثابتة لهذه الشعيرة على مدى العصور، وكما هي عادة الشرع الشريف أن يحد المشاعر بعلامات طبيعية.

ثانيـاً: الصفا: يطلق هذا الاسـم على جبل يبدأ مـن نهاية جبل أبي قبيس وهو أكبر مما هو عليه الآن، حيث يمتد شرقاً في العرض إلى سـور قصور الصفا الملكية القائمة علـى نهاية جبل الصفـا في امتداد جبل أبي قبيس.

ثالثاً: الصخر البارز الموجود الآن في مشعر الصفا ليس هو كل الجبل وإنما هو جزء منه، وقد أبرزت جريدة عكاظ في الصفحة الحادية عشرة ، في عددها الصادر يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول عام ١٤٢٩هـ ، الموافق ٢٥ مارس ٢٠٠٨م ، السنة الخمسون العدد ١٥١٨٦ جبل الصفا على طبيعته في صورتين فوتوغرافيتين فأصبح واضحاً للعيان (بعد تواريه عقوداً طويلة).

رابعـاً: تمتد حدود جبـل الصفا العرضية قدر امتداده الطبيعي، ذلك أن جبل الصفا يمتد عرضاً من جهتيه الغربيـة والشـرقية، بأكثـر مما هو موجود حالياً، وهذا معروف بداهة .

خامسـاً: قد عبر العلامة الفقيه، المؤرخ تقي الدين الفاسي المكي عن هـذا بتعبير دقيق جـداً فقال:» وهو {الصفا} موضـع مرتفع.. من جبل «فليس الصفا الحالي، ولا السـابق قبل التوسعة السعودية الذي يقف عليه الناس هو كل جبل الصفا.

سادسـاً: المـروة: رأس هو منتهى جبـل قعيقعـان، أما الجـزء البارز الواضـح من هذا الجبل في المروة في الوقت الحاضر فهو جزء بسـيط من أصل الجبل.

سـابعاً: يمتد جبـل الصفا عرضاً من طرفيه، وكذلك المروة بأكثر من الأجزاء الموجودة في الوقت الحاضر.

حيـث لم يـرد في السـنة المطهرة تحديـد للصفـا والمروة فـإن مناط الحكم الشرعي وتعلقه هو ما يطلق عليه جبل الصفا وجبل المروة بقدر امتدادهما. و أن يكون أداء السـعي

بينهما وفي حدودهما ، وهو ما قرره بعض العلماء المعاصرين في مجلس العلامة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، ونقل هذا العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، كما تقدم.

ثامناً: أن ما بين ضفتي هذين الجبلين الشرقية والغربية واد عريض جداً، كانت تدخل منه السيول إلى الحرم، ومن أجل أن ينحرف السيل عن دخول الحرم وضع الخليفة عمر بن الخطاب ما يسمى تاريخاً بـ (الردم) في المدعى المعروفة اليوم، ولا زال هذا الارتفاع علامة طبيعية بارزة حتى وقتنا الحاضر.

تاسعاً: إن اتساع الوادي عرضاً كان هو المبرر لتحويل المسعى عما كان على عهد رسول الله ﷺ، والتابعين حتى عهد المهدي الخليفة العباسي، ولا يعد هذا تغييراً لموضع شعيرة السعي.

عاشراً: المهم الأساس في أداء شعيرة السعي هو نقطة البداية لما يطلق عليه جبل الصفا، ونقطة النهاية فيها هو ما يطلق عليه جبل المروة.

حادي عشر: السعي بين جبلي الصفا والمروة ، واستيفاء المسافة بينهما هو مناط الحكم الشرعي ومتعلقه، وهو أحد واجبات السعي الذي أكد الفقهاء على المحافظة عليه في أداء شعيرة السعي، واهتموا به الاهتمام الكامل، حتى أنهم ذرعوا الطول بصورة دقيقة، واجتهدوا كثيراً في تحديد بدايتها ونهايتها قديماً وحديثاً.

ثاني عشر: ليس من الافتئات على الشريعة دعوى إجماع الفقهاء أن الواجب في السعي هو استيفاء المسافة بين الصفا والمروة طولاً، أما العرض فإن السعي صحيح ومتحقق في جميعه ما دامت المسافة التي

يقطعها الساعي متحققة بين الجبلين الصفا والمروة. ولهذا لم يتعرض الفقهاء للكلام عن العرض، ذلك أن العرض رهين بمحدودية الجبلين عرضاً في كليهما.

ثالث عشر:

١. قد عرف عن الشرع الإسلامي الشريف من طريق الاستقراء أن الحدود للمشاعر هي الحدود الطبيعية من وديان ، وجبال ، وأكمات . هذه القاعدة تنطبق تماماً على جبلي الصفا والمروة بحدودهما الطبيعية من الجهتين العرضيتين الشرقية والغربية،

٢. استيفاء المسافة في السعي بين الصفا والمروة في حدودهما الطبيعية تحقيق للمطلوب الشرعي في المكان المحدد شرعاً في كل من الشعيرتين.

ليس هذا بدعاً في هذه الشعيرة ، بل يمتد هذا المعنى في كافة المشاعر، مثلاً: الوقوف بعرفة، والمزدلفة، ومنى المقصود من ذلك هو الكينونة في محدود مسماها، والسعي بين الصفا والمروة ليس بدعاً من تلك المشاعر مادام الأداء متحققاً في حدود العرض الطبيعي لمسمى الجبلين.

آخراً وليس أخيراً، فإنه من الواجب أن أنوه هنا بالإضافة المهمة المفيدة التي دونها العلامة الفقيه المحقق الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله بعد اطلاعه على البحث المبدئي لتوسعة المسعى؛ لتأييد ماسبق ذكره من حقائق وتأكيدها قائلاً:

«ومع ذلك كله فهناك قرائن تدل على أن المسعى كان أوسع حتى من الجانب الآخر الذي يقابل المسجد ، وهذه القرائن عبارة :

١. أن الصفا جزء من جبل أبي قبيس كما أن المروة جزء من جبل قعيقعان فمن البعيد أن يكون طول الجبل وامتداده حوالي ٢٠ متراً من غير فرق بين الصفا والمروة ، وهذا

يدل على أن الامتـــداد الحالي ليس هو كما في السابق لحصول الحفريات على جانبيه .

٢. توجد حالياً بقايا من جبل المروة خارج المســـعى في الجانب الشرقي، وهـــذا يدل علـــى امتداده ســـابقاً ، ولكنه حفر لإيجاد الطريق .

٣. يظهـــر مـــن الحاكـــم في ترجمة الأرقـــم بن أبي الأرقـــم المخزومي قوله : إن دار الأرقم وهو الدار التي كان النـــبيﷺ يدعو الناس فيها إلى الإسلام، وأســـلم فيها قوم كثير أن داره كانت على الصفا ، وتصدق بها الأرقم على ولده ، فقرئت نســـخة صدقة الأرقم بداره: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا أنها صدقة بمكانها من الحرم لاتباع ، ولا تورث) . إلى أن قال الحاكم : فلـــم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولده يسكنون ويؤجرون، ويأخـــذون عليها حتى كان زمن أبي جعفر: قال محمد بن عمر : فأخبرني أبي عن يحيى بن عمران بن عثمان بـــن الأرقم أنه يســـعى بين الصفا والمروة في حجـــة حجها ونحن على ظهر الدار فيمر تحتنا ، لو شـــئت أن آخذ قلنسوته لأخذتها ، وإنه لينظر إلينـــا من حين يهبط الـــوادي حتى يصعد إلى الصفا)[٣٥].

وهذه الوثيقة التاريخية تدفعنا إلى القول : أن المسعى من جانبه الشرقي كان أوسع مما عليه الآن .

٤. أن دار الأرقـــم صـــارت في السنوات الســـالفة مكاناً لما يسمى (دار الحديـــث المكي) ، ولو بذلت جهود لســـؤال المســـنين والمعمرين الذيـــن شـــاهدوا دار الحديث قبل التوســـعة ، وحددوا مقدار الفاصلة بينه وبين المسعى الحالي لكان ذلك دليلاً للموضوع .[٣٦]

هـــذا وقد نشـــر المشـــرفون على التوسعة مخططاً أوضحوا فيه أن دار

الأرقم بن أبي الأرقم (دار الحديث) كما ورد في المصادر التاريخية كانت تقع في المسعى ، وهي الآن تبعد عن المسعى الحالي ٢١/١٨متراً ، وبما أن مشروع التوسعة الجديد يمتد إلى شرق المسعى ٢٠ متراً فيكون الامتداد ضمن المسعى الواقعي .

وهذا الذي يعاني منه العلماء والمحققون اليوم هو أحد النتائج السلبية التي سببها هدم الآثار التاريخية المتعلقة بعصر النبي ﷺ، وصدر الإسلام ، والكثير من المعالم الإسلامية في مكة والمدينة المنورة .

ولو كانت التوسعة مقرونة بحفظ معالم الإسلام وآثاره لما ضاع علينا معرفة حدود المشاعر الإسلامية».

ثم انتهى حفظه الله إلى القول :

«ما ذكرنا من الدراسة يؤيد امتداد جبل الصفا حوالي ٢٠ متراً إلى الشرق» ثم انتقل إلى القول :

«٨ . أكدت الدراسات التاريخية والجغرافية والجيولوجية التي قامت بها اللجان المشرفة على توسعة المسعى أن هناك امتداداً سطحياً لجبل المروة بما لا يقل يقيناً عن ٢٥متراً من الناحية الشرقية ، وهذا ما ثبت بعد دراسة عينات الصخور التي أخذت من الناحية الشرقية لجبل المروة والتي ظهرت مشابهتها لصخور المروة»(٣٧).

النتيجة:

يعلم مما تقدم من عرض العناصر السابقة: أن جبلي الصفا والمروة يمتدان عرضاً من جانبيهما بأكثر مما هما عليه في الوقت الحاضر حتى بعد توسعة المسعى ، هذا مؤكد لدى كل من عاصر مكة المكرمة قبل أن تبدأ التوسعة السعودية الأولى للحرم الشريف عام ١٣٧٥هـ ودرج على ترابها الطاهر طفلاً وشاباً ، فالأمر بالنسبة لكل من

عاصر الفترة الزمنية قبل التخطيط الحديث والتغيير للمنطقة التي يقع عليها الجبلان، أن الساعي بينهما في التوسعة الجديدة لم يخرج عن حدودهما العرضية الطبيعية.

في ضوء ما سبق من النصوص الفقهية ، والحقائق التاريخية ، والنتائج العلمية الجيولوجية ، وشهادة أهل الخبرة الثقات من كبار رجال مكة المكرمة الذين عاشوا في تلك المنطقة قبل إزالتها، فإني أرى والله أعلم بالصواب أنه لا مانع من توسعة المسعى من الناحية الشرقية للمسجد الحرام، ليس هذا من قبيل الترخيص، بل هذا هو الأصل، وكما يعبر عنه الفقهاء (عزيمة) لا (رخصة) فإن الحكم لم يتغير ، ذلك أن التوسعة التي يجري تنفيذها على أرض المسعى ، وبمساحة تقدر بنفس المساحة القديمة ، وقدرها كما عرفت عشرون متراً لا تعد خروجاً عن حدود المسعى المقررة شرعاً لهذه الشعيرة بل لازالت داخل حدود جبلي الصفا والمروة .

بدء السعي في التوسعة الجديدة للمسعى

تم بحمد الله وعونه افتتاح توسعة المسعى في التوسعة الجديدة من الناحية الشرقية في موسم حج عام ١٤٢٨هـ ، وقد وفقني الله لأداء شعيرة الحج فشاهدت التوسعة الجديدة للمسعى وقد هيئت للساعين من الحجاج والمعتمرين، وقد جزئت التوسعة إلى مسارين للذاهب من الصفا إلى المروة ، ومسار آخر من المروة إلى الصفا ، وقد فصل بين المسارين بصف من الحواجز البلاستيكية ذات اللون الأحمر ، وظل المسعى القديم كحاله ممتلئاً بالساعين .

لوحظ في نهاية توسعة المسعى

بالمــروة عمل ارتفــاع مصطنع من الاسمنت مسامت لارتفاع جبل المروة في المســعى القديم لإعطاء الساعي انطباعاً بجبل المروة في تلك الناحية.

شيد المســعى في امتدادها الجديد بطراز من الديكــور مختلف عنه في القديم، ولكنه ليس بعيداً عنه .

جاءت التوسعة مطابقة في بدايتها ونهايتهــا للمســعى القديم على الرغم من أن في الشــريعة متسعاً ؛ ذلك أنه يمكــن أن يمتد جدار بداية الصفــا ، ونهايــة جدار المــروة إلى الــوراء بأكثر من الحــدود القديمة مادام أن الســاعي وصل بداية كل من الصفا والمــروة فتأخره وقوفاً في المروة يوسع للساعين ليتموا سعيهم في راحة واطمئنان من دون مضايقة لهم ما دام أنه استوفى المسافة الكاملة للسعي بين الجبلين .

وقد تابعت الصحافة المحلية العمل الجاري في المســعى الجديد والقديم فنشــرت جريدة عكاظ في الصفحة الحادية عشرة، الثلاثاء ١٧ربيع الأول عام ١٤٢٩هـ الموافــق ٢٥مارس عام ٢٠٠٨م مقالاً بعنوان: (المسعى الجديد نقطة تحول في تاريــخ الحرم المكي) جاء فيه:

«بعد أيام قليلة يدخل الحرم المكي الشريف مرحلة تاريخية جديدة بإنجاز واحد من المشاريعه التوسعية المتمثلة بإنشــاء المسعى الجديد الذي سيغير كثيراً من ملامح الحــرم وخصوصاً ما يتعلق منها بجبل الصفا الشــهير الــذي أبرزت عمليات البناء ملامحه بعد أن ظلت متوارية لعقود طويلة.

الشركة المنفذة للمشروع وضعت اللمسات الأخيرة عليه بعد تركيب ممــرات للعربات وفتح الأبواب من جهة المروة تسهيلاً لخروج المعتمرين، وهي آخــر مراحل المشــروع الذي بلغت تكلفته نحــو ثلاثة مليارات ريال.

ويستخدم الزوار والمعتمرون الآن المسعى الجديد لأداء شعائرهم ريثما يتم الانتهاء من إنجاز المسعى القديم، ومن ثم يتم استخدام الاثنين معاً.

كما شارفت عمليات إزالة المسعى القديم على الانتهاء حيث لم يتبقّ سوى جزء يسير في منتصفه .

يذكر أنه يواصل أكثر من ألفي عامل ومهندس العمل بالليل والنهار من خلال فترتين ، وتشير مصادر عكاظ أنه سيتم الانتهاء من الدور الأول قبل بداية شهر رمضان القادم لتمكين المعتمرين من السعي فيه إضافة إلى المسعى الجديد المستخدم حالياً .

وتتيح التوسعة لنحو ٤ ملايين معتمر وزائر لبيت الله الحرام فرصة السعي على مدار اليوم ، ويتوقع أن ترتفع الطاقة الاستيعابية حال إنجاز كافة مراحل المشروع لتصبح قادرة على استيعاب ١١٨ألف شخص لكل ساعة للسعى ،و١١٥ألفاً و٦٠٠مصل وهو الأمر الذي أسهمت فيه زيادة الرقعة المساحية للمسعى ، فمساحة المسعى قبل التوسعة كانت تقدر ٢٩ألفاً و٤٠٠متراً مربعاً ، أما بعد التوسعة فسترتفع لتبلغ ٧٨ألف متراً مربعاً شاملة كل الطوابق الأرضي والأول والثاني».

والله أعلم بالصواب، وهو الموفق، ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

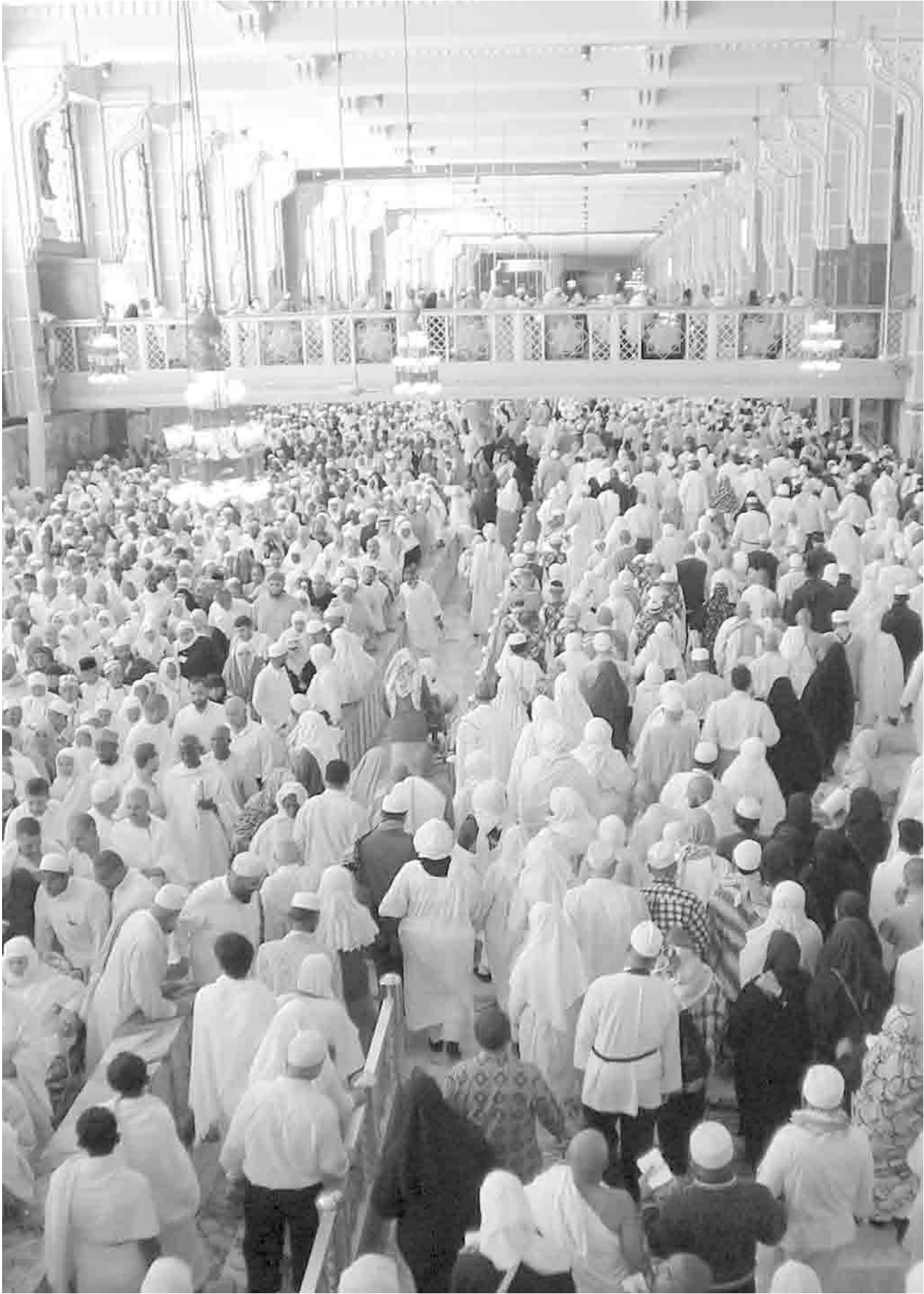

الهوامش

١. تاج العروس ، مادة(صفو).
٢. تاج العروس، مادة (مرو).
٣. الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الثانية، (بيروت : دار إحياء التراث العربي)، ١: ١٧٩.
٤. شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ، الطبعة الأولى ، تحقيق لجنة من العلماء والأدباء (مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة، عام ١٩٥٦م) ١: ٢٧٩.
٥. الإفصاح على مسائل الإيضاح على مذاهب الأئمة الأربعة،الطبعة الثانية (مكة المكرمة : المكتبة الإمدادية ،عام ١٤١٤/١٩٩٤) : ١٩١،٢٥٢.
٦. يضيف فضيلة الشيخ طاهر قائلاً: «فإن هذه الحادثة تشبه ما ذكره الإمام القطبي، لكن مع الفارق ، فما ذكره القطبي عبارة عن إدخال جزء من المسعى في المسجد الحرام ، وأما ما نذكره فهو عبارة عن إدخال جزء من جبل الصفا إلى حدود المسعى.

فمما لاشك فيه أن هذا الجزء المأخوذ من جبل الصفا في زماننا هذا ، والمدخول في حدود المسعى لم يكن رسول الله ﷺ قد سعوا في هذا الجزء المستحدث اليوم» هذا صحيح ، ولكن الامتداد لعرض المسعى لم يخرج عن حدودها الطبيعية.

يتضح من عبارة العلامة الشيخ محمد طاهر كردي أنه لم يلتفت إلى مناط الحكم في السعي وهو أن يتم سعي الحاج ، أو المعتمر بين جبلي الصفا والمروة وبقدر ما يمتد عرضهما من الناحيتين الشرقية والغربية ، ولهذا فمن كان سعيه في حدود عرض الجبلين فهو ليس خارجاً عنهما إطلاقاً فإن حدود الجبلين هو مناط أحكام السعي ومتعلقها.
٧. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : دار صادر، عام ١٤١٤/١٩٩٤)، ١١: ٩٦.
٨. عارضه مصطفى السقا، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر)، ٣٦٠.
٩. ٢: ٦٠.
١٠. حسين عبد الغني،إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري، ١١٧.
١١. المالكي ، حسين بن إبراهيم ، توضيح المناسك ، ١٢٩.
١٢. ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ، الطبعة الأولى ، دراسة

وتحقيق محمد بن عبيد ، (مكة المكرمة: معهد خـادم الحرمين الشـريفين، عام ١٤٢٢/٢٠٠١) ، ١٣٢ .

١٣. الرملـي ، شمس الديـن محمد ، نهاية المحتـاج إلى شـرح المنهـاج ، (مصر : شـركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ٣: ٢٩١ .

١٤. عبد الرحمن بن جاسـر ، مفيد الأنام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، الطبعـة الثالثة (الريـاض: طبع على نفقة الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود عام ١٤١٢/١٩٩٢)، : ٢٧٢ .

١٥. الشـثري ، سـعد بن ناصر بحث في مشـعر المسـعى، نقلاً (مـن مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم: ٣) .

١٦. الشـثري ، نقلاً (من ديوان رئاسـة مجلس الوزراء)، ٦.

١٧. الأجوية النافعة عن المسائل الواقعة ، الطبعة الثالثة ، (الرياض : دار المعالي ودار ابـن الجوزي ، عـام ١٤٢٠هـ) ، ٢٨٤.

١٨. الأزرقـي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، الطبعة الثالثة ، تحقيق رشـدي الصالح ملحس ، (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، عام ١٣٩٨/ ١٩٧٨) ، ٢: ٧٩.؛ وانظر : الفاكهـي ، أبو عبد الله محمد إسـحاق ، أخبار مكـة في قديم الدهر وحديثه ، الطبعة الأولى ، دراسة وتحقيق عبـد الملك بن عبـد الله بن دهيش ، (مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، عام ١٤٠٧/١٩٨٦) ٢: ١٧٠ .

١٩. الأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ٢: ١١٩ .

٢٠. قطب الديـن الحنفي ، كتاب الإعلام بأعلام بيـت الله الحرام في تاريخ مكة المشـرفة، الطبعة الأولى ، تقديم السيد محمد أمين كتبي، (مكة المكرمة : المكتبة العلميـة لصاحبهـا عبـد الفتاح قدا وأولاده، ت.د.): ٩٨ .

٢١. الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: ٩٩

٢٢. المصدر نفسه

٢٣. الشـثري ، سـعد بن ناصر ، بحث في مشـعر المسـعى ، نقـلاً (من مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم: ٢٤

٢٤. انظر : الفاسي ، شفاء الغرام ١: ٢٩٩ .

٢٥. المطرفي ، عويد بن عياد ، رفع الأعلام بأدلة توسـيع عرض المسـعى المشعر الحرام: ٤، مخطوط.

٢٦. السـند هنا ما قابلك من الجبل وعلا سفحه . القاموس المحيط ، مادة (سند)

المطرفي ، عويد، : ٥.

٢٧. المطرفي ، عويد، رفع الأعلام: ٩، الحربي، أبا إسحاق (كتاب المناسك): ٤٧٩.

٢٨. المطـرفي ، عويد ، رفـع الأعلام بأدلة جواز توسـيع عرض المسـعى المشعر الحـرام: ٨، ٩، ١٠، ١١؛ وانظر : الحربي ، أبا إسحق ، كتاب المناسك: ٤٧٩.

٢٩. المطـرفي ، عويد ، رفـع الأعلام بأدلة جواز توسـيع عرض المسـعى المشعر الحرام: ١٢.

٣٠. المطرفي ، عويد ، رفع الأعلام: ١٣.

٣١. المطـرفي ، عويد ، رفـع الأعلام بأدلة جواز توسـيع عرض المسـعى المشعر الحرام: ١٨، ٢١.

٣٢. تقرير دراسـة الامتداد الشرقي لجبلي الصفا والمروة ، تقديم الدكتور أسـامة بن فضل البار ، : ٨.

٣٣. العبـد المنعم ، عبد العزيز بن محمد ، المسعى تحقيقات تاريخية وشرعية ، بحث مقدم لمجلس هيئة كبار العلماء: ٥.

٣٤. نهاية المحتاج ٤: ٢٩١

٣٥. المسـتدرك على الصحيحين ٣: ٥٠٢ـ ٥٠٣.

٣٦. قد أخذت حكومـة المملكة العربية السعودية على عاتقها المبادرة في هذا، ووثقت شـهادة الشـهود في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة ، وصدر بهذا صك شـرعي برقم ١١/٤٤/١٥٨، وتاريخ ١٤٢٧/١٢/٢٥هـ، كما سبق تقرير هذا في هذا البحث تحت عنوان (شهادة أهل الخبرة) فقد اسـتنفدت حكومة المملكة العربية السعودية كل الطاقات والإمكانـات للتحقـق والتثبت من سلامة الإجراءات التي اتخذتها لتوسعة عرض المسعى بما لايدع شكاً لأحد في سـلامة إجراءاتها تقديراً لمسؤوليتها الدينية.

٣٧. الحج في الشـريعة الإسلامية الغراء، الطبعة الأولى (مكتبـة التوحيد ، عام ١٤٢٨) ٥: ٥٩٢؛ ميقات الحج، العدد ٢٧: ١٠-١٢.